مجلة جامعة الملك خالد

للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الثالث

العدد الأول (يناير ٢٠٢٢م)

جامعة الملك خالد

King Khalid University

P-ISSN 1658-872X
E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٥٩٧

مجلة جامعة الملك خالد

للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

رئيس التحرير: أ. د. أحمـد بن يحيى آل فائـع

مدير التحرير: أ. د. عبدالعزيز محمـد رمضـان

هيئة التحرير: أ. د. سعيد بن مشبب القحطاني

د. حسـن بن يحيـى الشوكـانـي

د. نعمـة حسـن محمـد البكـر

سكرتير التحرير: أ. محمـد شعشـوع آل تركـي

الهيئة الاستشارية: معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري (جامعة الجوف سابقاً)

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر (جامعة الحدود الشمالية سابقاً)

أ. د. عبداللطيف بن عبد الله بن دهيش (جامعة أم القرى)

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي (جامعة الملك سعود)

أ. د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب (جامعة الملك سعود)

أ. د. مسفر بن سعد الخثعمي (جامعة بيشة)

أ. د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (جامعة القصيم)

أ. د. غيثان بن علي جريس (جامعة الملك خالد)

أ. د. محمد بن منصور حاوي (جامعة الملك خالد)

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: ٠٧٢٢٨٩٢٤١، هاتف: ٠٧٢٢٨٩٢٤١، بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/ ، وفق الشروط الآتية: -

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (٥٠) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (١٨) للعناوين الرئيسة للبحث، و (١٦) لمتن البحث، و(١٤) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

عنوان البحث	الباحث	الصفحة
المحتويات		١
تصدير العدد		٣
إمارة (أرزن الروم) ودورها التاريخي في العصر السلجوقي (٤٦٣- ٧٠٨هـ/ ١٠٧٠- ١٣٠٨م)	د. محمد عثمان الخطيب أ. د. فاطمة يحيى زكريا الربيدي	٥
أطباء السلاطين ومكانتهم في البلاط الأيوبي (٥٦٩- ٦٥٠هـ/ ١١٧٤- ١٢٥٠م)	د. أحمد بن علي بن عبدالعزيز الربعي	٢٩
سياسة الإمبراطور هنري السادس الصليبية في ضوء علاقته بالمقر البابوي فير روما والقوى الأوروبية الأخرى ، وأثر ذلك على الصراع الإسلامي الصليبي (٥٨٦ - ٥٩٣هـ/ ١١٩٠ - ١١٩٧م)	د. عائشة بنت مرشود بن حميد الحربي	٥٧
إخفاء الثروات في العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)	د. سامي بن سعد بن عبدالله المخيزيم	٨١
تجارة السرو وأثرها على الاقتصاد المكي خلال الفترة (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)	د. فهد بن علي بن حامد الحارثي	١١٧
الأوبئة في قضاء بني شهر (١٣٠٥- ١٣٢١هـ/ ١٨٨٧- ١٩٠٣م): دراسة تحليلية في وثائق الأرشيف العثماني	د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري	١٥٥
الموقف السعودي الحكومي والشعبي من استقلال الجزائر عام (١٣٨٢-١٩٦٢م) من خلال الصحف السعودية: دراسة تحليلية	د. منصور بن معاضه بن سعد الكريمي	١٨٧

تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها الرابع (العدد الأول من المجلد الثالث/ يناير ٢٠٢٢م) الذي يحوي بين جنباته بحوثًا تتسم بالعمق والجِدّة والأصالة، ولمجموعة متميزة من الباحثين المتخصصين في مختلف حقب التاريخ والمنتمين إلى جامعات في المملكة العربية السعودية والأردن وفلسطين. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقاريْ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثاني من المجلد الثالث (يوليو ٢٠٢٢م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa.

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن يحيى آل فائع

تجارة السَّرو وأثرها على الاقتصاد المكي خلال الفترة (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م)

د. فهد بن علي بن حامد الحارثي*

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – السعودية

الملخص:

يتناول هذا البحث دور تُجَّار وتجارة السَّرو في استقرار الأسعار ورغد العيش بمكة في العصر المملوكي، حيث إنَّ هذه التِّجارة قائمة على تصدير المواد الغذائيَّة الأساسيَّة إلى أسواق مكة من الحبوب بأنواعها المتعدِّدة، والفواكه المختلفة، والعسَل والزَّبيب واللوز، فضلاً عن الثَّروة الحيوانية والحرف اليدوية مثل: جلود الحيوانات المدبوغة أو المواد العطرية، وغيرها.

وتُعدُّ التِّجارة السَّروية سلَّة غذائية شبه متكاملة للأسواق الحجازية المجاورة عامةً وأسواق مكة خاصةً، وكان لوصول هذه البضائع وكثرتها أجمل الأثر في حل الأزمات الاقتصادية التي كانت تتعرض لها مكة بين الفينة والأخرى.

وممَّا يجدر ذكره أنَّ هذه البلاد مثلها مثل البلاد المنتجة الأخرى التي تمدُّ مكة بالميرة، قد تعرَّضت لأسبابٍ سماوية وعوائق بشرية أسهمت في انقطاع التِّجارة إمَّا جزئيًا أو كليًّا عن التَّصدير إلى الأسواق في بعض المواسم.

الكلمات المفتاحية: بجيلة، السَّروات، الأزد، مكة، التجارة، السَّرو.

Assro Trade and its Impact on the Meccan Economy (648-923 AH/ 1250-1517 AD)

Dr. Fahd Ali Alharthi
Islamic University of Madinah –Saudi Arabia
roah_2002@iu.edu.sa

Abstract:

This research deals with the role of merchants and trading Assro's in price stability and the well-being of life in Makkah during the Mamluk era, as this trade is based on the export of basic foodstuffs to the markets of Makkah of various kinds, various fruits, honey, raisins and almonds, as well as animal wealth and handicrafts such as animal skins, Tanned, or aromatic materials, and others.

The Assro's trade is a semi-integrated food basket for the neighboring Hijaz markets in general and the markets of Makkah in particular, and the arrival of these goods and their abundance had the most beautiful effect in solving the economic crises that Makkah was exposed to from time to time.

It is worth noting that this country, like the other productive countries that supply Makkah with foodstuffs, has been subjected to divine reasons and human obstacles that have contributed to the interruption of trade, either partially or completely, from exports to the market in some seasons.

Keywords: Bajaila, Sarawat, Azd, Mecca, trade, Assro.

المقدمة:

أسهمت التِّجارة السَّروية في انتعاش الحركة التِّجارية والاقتصاديَّة في مكة المكرمة قبل الإسلام، وكانت بمثابة السَّلة الغذائية المتكاملة التي أمدَّت الأسواق الحجازية القريبة والبعيدة بوافر الخيرات والمنتجات خاصة أسواق مكة كونها مركزًا مهمًا للحركة التِّجارية والاقتصادية في الحجاز.

وقد حافظ السَّرويون على استقرار الأسواق وانخفاض الأسعار، ورغَّدُوا البلد بالمنتجات، ممَّا كان له أجمل الأثر في تخفيف أثر الأزمات الاقتصادية التي تعرَّضت لها مكة خلال فترات الاضطرابات السِّياسية والأمنية من جهة، أو عند حدوث الكوارث الطبيعية كالقحط والجفاف وانحباس المطر وتفشي الأوبئة والأمراض من جهة أخرى، وكان لهذا التخفيف بالغ الأثر على السُّكان والحجاج والمعتمرين والمجاورين على حدٍّ سواء؛ فقد كانوا يترقبون المواسم لقدوم التُّجار السَّرويين بتجارتهم، وذلك للاستهلاك المحلي، والتِّجارة والتَّصدير، وكذلك الادِّخار للموسم القادم. وكان هؤلاء التُّجار يَقْدمون إلى مكة أثناء العُمرة الرَّجبية وأثناء موسم الحج، ربَّما جمع بعضهم بين التِّجارة والعبادة معًا.

وممَّا سبق وقع النَّظر على اختيار الموضوع تحت عنوان: **"تجارة السرو وأثرها على الاقتصاد المكي"** خلال الفترة (٦٤٨هـ- ٩٢٣هـ/١٢٥٠م- ١٥١٧م) وهي فترة تزامنت مع عصر دولة المماليك البحريَّة والبرجيَّة. وقبل الدُّخول في التِّجارة السَّروية وأثرها على الاقتصاد المكي يجدر بنا التَّعريف بالسَّرو، وتحديد أماكن موطنهم من النَّاحية الجغرافية والفلكيَّة.

المقصود بالسَّرو والسَّرويين: السَّرو في اللغة تعني السَّخاء والشَّرف، وسَرو الرَّجلُ يَسرو أي ارْتفع يَرتفِع فهو رفيع، وسراة كل شيء أعلاه، والجمعُ سروات[١]. وتعني أيضًا ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غَلْظِ الجبل، وقيل من الجبل ما ارتفع عن موضع السَّيل وانحدر عن غلظ الجبل[٢]. وتُطلق كذلك على المواضع؛ فيقال: سرو حمير، سرو منْدَد، سرو الغُلاةِ؛ وهي مواضع يمانية[٣]. كما تُطلق على الطريق[٤]، وكذلك كل ما وقع بين قمة الجبل والسَّهل من ارتفاع وهبوط[٥].

وأمَّا في الاصطلاح فالمقصود بالسَّرو هي بلادهم وهي "سراة بجيلة" ومركزها في وقتنا الحاضر بني مالك[٦]؛ جنوب محافظة الطائف، وسراة غامد وسراة زهران -كانتا تعرفان بـ "سراة الأزد"- وما جاورها من البلاد[٧]. فالسَّرويون هم من تُنسب إليهم تلك البلاد والمواضع، وهذا ما أشار إليه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨هـ) بقوله: "قرية كبيرة ممَّا يلي مكة

وإلى هذه السَّروات يُنسب القوم الذين يحضرون مكة يجلبون الميرة[٨]"[٩]. وقال ابن المجاور (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م): "فأمَّا السَّرو فإنَّهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشايخ منهم وفيهم، وهم بطون متفرقون"[١٠]. وقد ذكر ابن المجاور بعض المواضع منها ما هو معروف إلى وقتنا الحاضر باسمه؛ والبعض الآخر ربَّما صُحِّف من طرف النسَّاخ أو غيرهم، ومنها ذكره موضع "الفرع" وربَّما يعني به "القريع"، فهي معروفة إلى يومنا هذا، كما ذكر "حدا" وربَّما يعني بها "حدَّاد" بني مالك، وهي مركز بجيلة ونواتها، وذكر اسم "جبل إبراهيم" والمعروف اليوم بـ "جبل بثرة"، كما ذكر "منهور"، وربما يعني بها "مهور"، وأشار إلى أنَّ قراها تزيد على مئتي قرية[١١].

١. **سراة بجيلة:** وهي أرض واسعة بين اليمن والحجاز تمتدُّ إلى مخلاف تَبالة[١٢]. وتُنسبُ إلى بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، وأبناؤها من بني أنمار بن أراش بن عمرو، أحد بطون بني كهلان، وبجيلة هي أمهم عُرفوا بها[١٣]. وقد تفرَّق أبناء هذا البطن -بجيلة- بعد ظهور الإسلام في الأمصار والبلاد، ولم يبق في هذه السَّروات إلاَّ القليل منهم[١٤].

وقبيلة بجيلة بطون متعددة، وقرى كثيرة ومشيدة، بلغ عدد القرى فيها أكثر من مئتي قرية، وأنَّ متوسط عدد أفراد القرية الواحدة يزيد على مئتي فرد، وبلادهم من أعالي الحجاز إلى مخلاف تبالة، وأصحاب التِّجارة في مكة يُطلقون عليهم أهل السَّرو نسبة إلى بلادهم[١٥]. وبجيلة أقرب إلى اليمن من الحجاز، وأهل مكة يطلقون على الطائف وما جاورها إلى وادي ليَّة حجازًا، ويعدون سراة بجيلة من مخاليف اليمن لبعدها عن مكة ولقربها من اليمن[١٦]، وتقطن قبيلة بجيلة بسروات اليمن والحجاز وتمتدُّ إلى مخلاف تبالة[١٧]. وهذه دلالة على تفرع القبيلة، وانتشارها في الأمصار والأقطار قديمًا.

٢. **سراة غامد:** غامد من أشهر قبائل الأزد المعروفة، وتُنسب إلى غامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر، وهو جدُّ غامد من أزد شنوءة[١٨]، وقد غلب جدّ القبيلة (غامد) على مسمَّى البلاد التي يقطنها أبناؤه فسُمِّيت به[١٩]، وقاعدة بلادهم في وقتنا الحاضر هي "الباحة"[٢٠].

٣. **سراة زهران:** زهران من الأزد أيضًا، ويُنسبُ إلى زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر، من أزد شنوءة[٢١]. وكانت سراة زهران تُعرف قديمًا بسراة دوس وسراة بني فهم[٢٢]. وقاعدة بلادهم في وقتنا الحاضر تُعرف بالمندق[٢٣]. وممَّا يجدر

ذكره أنَّ قبيلة الأزد اليمنية -التي تجتمع تحتها زهران وغامد في النَّسب- كانت تقطن مأرب بأرض اليمن، وكانت لهم مواضع وقرى، وعندما خرب سد مأرب "تفرقوا شذر مذر"[٢٤] في البلاد والأمصار، حتى ضُرِب بتفرقهم المثل المعروف: "ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيدي سبأ"[٢٥] ولعلَّ هناك تجانسًا وتباينًا حول العناصر السُّكانيَّة القاطنة في بعض المناطق السَّروية في تلك الفترة الزَّمنية، منها ما هو معلوم إلى يومنا هذا، ومنها ما هو غير معروف لتداخل هذه العناصر، وكثرة القبائل المستوطنة لتلك السَّروات.

وأمَّا من حيث موقع السَّرو فلكيًّا، فهي تقع بين خطوط الطول "٤١,٠٣° - ٤٢,١٢°" درجة شرقًا، ودوائر العرض "١٩,٥٩° - ٢١°" درجة شمالاً[٢٦]. وهذه البلاد المعنيَّة بالبحث هي البلاد الممتدة من تبالة وما جاورها جنوبًا إلى الطائف وما جاورها شمالاً[٢٧].

وممَّا يجدر ذكره أنَّ هناك تباينًا في تحديد موقع السَّروات بين البعد والقرب عن مكة، وكذلك بين الامتداد شمالاً وجنوبًا؛ فالهمداني (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) يُعرِّف بلاد السَّراة بأنها ما استوسق واستطال في الأرض من جبال هذه الجزيرة[٢٨]، ويذكر أنَّها تمثِّل سلسلة جبليَّة تمتد من الشَّام إلى اليمن، وأنَّ مبتدأها من مخاليف اليمن[٢٩]؛ وعدَّد جملة من السَّروات منها سراة زهران، وغامد، وبجيلة، وبني شبابة، وسراة عدوان، ...، ثمَّ سراة الطائف؛ وغورها مكة[٣٠].

وأمَّا ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فحدَّد موقع السَّروات -في معرض حديثه عن أفصح الشُّعراء- بقوله: "أفصح الشُّعراء ألسنًا وأعذبهم؛ أهل السَّروات وهن ثلاث: وهي الجبال المطلة على تهامة ممَّا يلي اليمن؛ فأولها: هذيل وهي تلي السَّهل من تهامة، ثمَّ بجيلة في السَّراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثمَّ سراة الأزد "أزد شنوءة"، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد"[٣١].

وأمَّا ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) فاعتبر السَّراة الجبل الذي يشرف على مكة ويمتدّ إلى صنعاء[٣٢]. وقسَّمه إلى ثلاث مناطق أولها: "سراة بين تهامة ونجد، أدناها الطائف، وأقصاها قرب صنعاء، والطائف من سراة بني ثقيف، وهو أدنى السَّروات إلى مكة، ومعدن البُرْم هو السَّراة الثانية، وهو في بلاد عدوان، والسَّراة الثالثة: أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب، وعلى نجد من المشرق"[٣٣].

وقد أشار ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) إلى ذلك بقوله: "السَّراة جبل بناحية الطائف، قال ابن السكيت الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السَّراة، فأوله:

سراة ثقيف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم الأزد، ثمَّ الحرَّة[٣٤] آخر ذلك"[٣٥]. وأمَّا ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) فجعلها المنطقة الممتدَّة من بلاد بني نهد باليمن جنوبًا إلى الحجاز شمالاً، وبيَّن أنَّها تُعرف لدى العامة بالسَّرو[٣٦]. وقال في موضعٍ آخر: "وأما بجيلة فبلادهم في سروات البحرين والحجاز إلى تبالة..."[٣٧].

وقد أشار العلامة حمد الجاسر أنَّ السَّروات بصفة عامة كثيرة وجميعها يقع جنوب الحجاز، وأشهرها ذكرًا سراة الطائف، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة بجيلة والمعروفة اليوم بسراة بني مالك، ثم سراة الأزد، وسراة عنز والمعروفة اليوم ببلاد عسير...، وأشار إلى أنَّ هذه السَّروات قد تغيَّرت أسماؤها في الوقت الحاضر وتداخل سكانها[٣٨].

وممَّا يجدر ذكره أنَّ موقع بلاد السَّرو -المائرون- هي تلك المخاليف اليمانية[٣٩]، الواقعة بين مخلاف تبالة جنوبًا، إلى الطائف شمالاً[٤٠]. وقد ذكر مؤرخ مكة تقيُّ الدِّين الفاسي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) أنَّ الحجاز يمتدُّ إلى الطائف وما جاوره من البلاد القريبة؛ ومنه إلى وادي ليَّة؛ وأمَّا بلاد بجيلة وما جاورها فإنَّها ضمن مخاليف اليمن، وذكر أنَّ أهل مكة لا يطلقون على بلاد بجيلة وما جاورها حجازًا، كونها إلى اليمن أقرب[٤١]. وصفوة القول إنَّ البلاد السَّروية من مخلاف تبالة إلى الطائف كانت سلَّة غذائية منوعة لأسواق مكة؛ خاصة في المواسم.

المبحث الأول

ملامح الحياة الاقتصاديَّة في مكة في العصر المملوكي

اعتمد سكان مكة المكرمة في حياتهم اليوميَّة على موارد اقتصاديَّة متعدِّدة ومتنوعة، وقد أثَّرت طبيعة مكة ومناخها -إلى جانب عوامل سياسيَّة وأمنيَّة- على الاقتصاد المكي سلبًا وإيجابًا، وقد تمثَّل هذا الاقتصاد في:

١. **الزِّراعة:** تقع مكة بوادٍ غير ذي زرع[٤٢]، وهي محفوفة بالأراضي والجبال الجرداء[٤٣]، حيث إنَّ طبيعتها لا تساعد على الزِّراعة المزدهرة لقلة الأمطار بها وتقطعها، وندرة المياه العذبة، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الجغرافي الإدريسي (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م) بقوله: "ليس بمكة ماء جارٍ إلاَّ شيء أجري إليها من عينٍ على بعد من البلد، ...، ومياه مكة زُعاق[٤٤] لا تسوغ لشارب، ...، وليس بجميع مكة شجرٌ مثمرٌ إلاَّ شجر البادية"[٤٥].

وقد أثرت العوامل المناخيَّة والطبيعية في النَّشاط الزِّراعي؛ فاعتمد سكَّانها على المنتجات الزِّراعية المجلوبة إليهم من المناطق المجاورة، حيث وفرة المياه وخصوبة الأرض واعتدال المناخ، ومنها الطائف التي كانت تُجلب منها الفواكه والخضار وغيرها من الأطعمة[٤٦]. ومنها أيضًا بلاد بجيلة فقد كان أهلها يأتون بالحبوب المنوعة من البرِّ والشَّعير والذرة، وغيرها من الأطعمة إلى أسواق مكة التجارية[٤٧]. ومنها وادي مَرّ[٤٨] ووادي نخلة[٤٩]، وغيرهما.

وقد كان للجدب والقحط وانقطاع المطر وعوامل أخرى أثره في الغلاء وارتفاع قيمة السِّلع والمواد الغذائية، خاصة إذا كان الجدب عامًا على شبه الجزيرة العربية، وغيرها من البلاد المجاورة التي كانت تجلب خيراتها إلى أسواق مكة[٥٠].

٢. التجارة: كانت العلاقات التجارية بين البلاد السَّروية وأسواق مكة قائمة على مجموعة من السِّلع والمواد الغذائية والعقاقير والعطريات وغيرها؛ يجلبها أهل السَّرو من بلادهم إلى أسواق مكة، ممَّا كان له أجمل الأثر على الاقتصاد المكي في تلك الفترة الزَّمنية[٥١]. لذلك تُعدُّ البلاد السَّروية من مصادر التموين الغذائي لأسواق مكة.

وقد كانت الخيرات تُحمل إلى أسواق مكة من كل مكان، وتُجلب إليها الفواكه والحبوب والسِّلع وما شابه ذلك من البلاد القريبة منها والبعيدة عنها[٥٢]. وقد وصف ابن بطوطة أسواق مكة بأنَّ فيها من الخضروات والفواكه والرطب والحلوى واللحوم

والسِّلع المجلوبة إليها بقوله: "ما لا نظير له في الدنيا"[٥٣]. وكانت القوافل التجارية من البلاد السَّروية تسير إلى أسواق مكة تحمل الأطعمة المتنوعة في كثيرٍ من المواسم، تكاد لا تنقطع[٥٤].

٣. **الأسواق التجارية:** من مظاهر ازدهار الحركة التِّجارية في مكة -وعلى مرِّ العصور التاريخية- كثرة الأسواق التي يتمُّ فيها البيع والشِّراء وتلبية متطلبات الحياة الضروريَّة، وقد وصفها الرَّحالة البلوي (كان حيًّا سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) بأنَّ هذه الأسواق كانت تزخر بالمنتجات الهندية واليمانية، وغيرها؛ من الأدوات الطبية والجواهر الثمينة، والعطريات والطيب، وما شابه ذلك[٥٥].

ومن هذه الأسواق وأشهرها سوق بين الصَّفا والمروة، يباع فيه الفواكه والخضار والحبوب واللحوم والتمور والسَّمن، وغيرها؛ وكان الناس يزدحمون على الحوانيت ممَّا تسبب في عرقلة السعي بين الصفا والمروة، ويُعدُّ من أشهر الأسواق المنتظمة في مكة[٥٦]. ومنها سوق النداء والمعروف بسوق العطارين وما جاوره من الدكاكين التي أنشئت بالقرب من باب بني شيبة عام (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)[٥٧]. ومنها سوق موسميَّة في منى بمكة يردها الحجاج والتجار[٥٨].

٤. **المعاملات التِّجاريَّة:** اعتمد المجتمع المكي في المعاملات التِّجارية على نظامين أحدهما: نظام المقايضة وهو الرَّائج في تلك الفترة، وهو القائم في أسواق مكة التِّجارية بين البائع والمشتري، خاصة في التَّجارة القادمة من بلاد السرو[٥٩].

والنظام الآخر: هو استخدام الدَّنانير[٦٠] الذَّهبية، والدَّراهم[٦١] الفضيَّة، وهو النِّظام القائم في الدِّيار المصريَّة والبلاد الشَّاميَّة في العصر الوسيط بصفة عامة، وتنقسم الدَّراهم الرَّائجة في مكة إلى قسمين: الدَّراهم الكامليَّة والمعروفة بالنقرة[٦٢]، وسُمِّيت بالكاملية نسبة إلى السُّلطان الأيوبي الملك الكامل[٦٣]. وهناك الدِّرهم المسعودي المنسوب إلى السُّلطان الأيوبي الملك المسعود[٦٤]، وهو أوَّل من ضرب الدَّراهم الكبار بمكة، وهي من الفضة[٦٥]، وكان التعامل بها في مكة[٦٦]. ومن العُملات المستخدمة والدَّارجة في أسواق مكة الدِّينار الإفرنتي[٦٧] والدِّينار الأشرفي[٦٨]، الذي ظهر زمن دولة المماليك البرجية.[٦٩] وبهذه العُملة أبطل استخدام وتداول الدِّينار الإفرنتي، وبقي كعُملة

رئيسة سائدةً إلى نهاية العصر المملوكي[٧٠]. ولم تكن هذه العُملات ثابتة التداول في أسواق مكة التِّجارية في العصر المملوكي، فقد تغيَّرت مع تغير بعض السَّلاطين والحكام أصحاب النفوذ على مكة، وذلك إمَّا لضبط العملة من عمليَّة الغش المصرفي، وإمَّا تخليدًا لذِكر اسم السُّلطان وقوَّة نفوذه.

٥. **الأوزان والمكاييل والمقاييس**: تعامل المكيون بوحدةِ الرِّطل المعروفة في أنحاء العالم الإسلامي بالمنِّ[٧١]، وبه تباع العطور وأغلب الحوائج[٧٢]. وأمَّا المكاييل فكان العمل قائمًا بالغرارة[٧٣] والصَّاع[٧٤] والمد،[٧٥] والإردب[٧٦]، وكان التُّجار وأصحاب المحال في أسواق مكة يستخدموا الغرارة والصَّاع والمد في كيلِ الحبوب بأنواعها[٧٧]. وقد دلَّت المصادر التاريخية على استخدام المكيّين لأدوات المكيال والتَّعامل بها؛ فالمقريزي يذكر أنَّه في مطلع ربيع الأوَّل سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م) ارتفعت الأسعار بمكة؛ واشتدَّ الغلاء وبيعت الغرارة من القمح بأربعمائة درهم، وأنَّ الأمير يلبُغا[٧٨] الأتابك[٧٩] أرسل إلى مكة ألفي إردب من القمح[٨٠]، كما ذكر مكيال الويبة[٨١] والرِّطل حيث أشار المقريزي إلى أنَّه في أواخر سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٣م) ارتفعت الأسعار بمكة وبيعت الويبة من الشَّعير بدينارين، والرِّطل بعشرة دراهم[٨٢]. وهذه دلالة على استعمال المكاييل من الغرارة والإردب والويبة والصَّاع بمكة في عصر دولة المماليك. وأمَّا المقاييس فقد استخدم المكيون الذِّراع[٨٣] لقياس الأقمشة عند بيعها في الأسواق المخصصة لها[٨٤]. وتعدُّ من الآلات التي تقدر بها الأرض، وتقاس بها الثياب وغيرها[٨٥].

المبحث الثاني
أهم الموارد الاقتصاديَّة والطبيعية لتجار السَّرو

من مصادر الدَّخل التي اعتمد عليها أهل السرو في حياتهم اليومية ما يأتي:

أوَّلاً: التجارة: كانت القوافل التجارية قائمة بين البلاد السروية وأسواق مكة سيما في موسم الحج[٨٦]. وقد كانت محملة بالأطعمة من الحبوب المتنوعة، والسَّمن والعسل وغيرها[٨٧]. وقد شهدت أسواق مكة وصول القوافل التجارية الكبيرة التي كان لها أجمل الأثر في حركة الأسعار ورغد العيش ووفرة الأطعمة بعد وصول تلك القوافل السروية[٨٨].

ومن التجارة السروية تجارة المعادن والأحجار الكريمة المستخرجة من بلادهم مثل معدن اللازود وغيره[٨٩]. وقد بيَّن تقيُّ الدِّين الفاسي عند ذكره أخبار الغلاء والرّخص والوباء بمكة في موسم الحج سنة (٨١٥هـ/١٤١٣م) مدى أهميَّة تجارة السَّرو لأهل مكة بقوله: " ولمَّا وصل الحجاج في هذه السَّنة تهافتوا على جميع المأكولات، فارتفعت الأسعار في جميعها ارتفاعًا لم يُعهد مثله في زمن الموسم، وأرخص ما بيع الحب به بعد تكامل وصول الأعراب من بجيلة وغيرها الجالبين للأطعمة إلى مكة، كل غرارة مكسية بعشرة أفرنتية"[٩٠]، وكانت ولا تزال بلاد السَّرو تموِّن مكة بالميرة وغيرها ؛ خاصة الحبوب المتنوعة من الحنطة والذُّرة والدُّخن وغيرها إلى نهاية العصر المملوكي، فقد ذكر العزّ بن فهد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) في حوادث سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) أنَّ الأسعار بلغت ذروتها فوصلت قوافل السَّرو التِّجارية "سراة بجيلة" مطلع ربيع الأوَّل حيث اشترى أمير مكة "جازان" (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[٩١] من القمح الكثير، واشترى العامة من الناس كذلك لرخص الأسعار، وكثرة الحنطة والذُّرة والدُّخن وغيرها بعد وصول تلك القوافل، وانخفضت الأسعار بشكل كبير وملحوظ، وعمَّ الخير المجتمع المكي[٩٢]. وكانت القوافل التِّجارية السَّروية قد أرغدت مكة في شهر رجب من العام السَّابق حيث وصلت القوافل التِّجارية محملة بالميرة، وغيرها من المواد الغذائية إلى أسواق مكة، فنزلت الأسعار عن المعتاد، إلى أن وصلت الغرارة دون أربعة عشر[٩٣]. وفي مطلع محرم سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) وصلت القوافل التِّجارية من بلاد السَّرو "سراة بجيلة" محمَّلة بالحبوب المتنوعة، وانخفضت الأسعار -بشكل كبير وملحوظ- إلى أن وصلت الغرارة دون السَّبعة دراهم[٩٤]. وقد تبيَّن أنَّ لتجارة السَّرو دورًا كبيرًا في ازدهار الحركة التِّجارية ونشاطها في

مكة خلال المواسم في حقبة البحث الزمنية.

ثانيًا: الزِّراعة: ـ وهي من أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها السَّرويون كونها المصدر الأوَّل والأساسي لحياة السَّرويين اليوميَّة، فهي عصب الحياة، من كامل مخلاف تبالة وإلى الطائف، وقد ارتبطت هذه الزِّراعة بموردهم الآخر وهي التِّجارة، فتجارتهم في غالبها تعتمد على تسويق المنتجات الزِّراعيَّة والرَّعوية، وفي هذا يقول ابن المجاور (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م): "فإذا دخلوا مكة ملأوها خيرًا من الحنطة والشَّعير والسَّويق والسَّمن والعسَل والذُّرة والدُّخن واللَّوز[٩٥] والزَّبيب، وما يشابه ذلك"[٩٦]. أي من المنتجات الزِّراعيَّة والرَّعويَّة، وقال في موضع آخر: "وجميع زرعهم الحنطة والشَّعير، وشجرهم الكروم والرُّمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السَّمن والعسَل"[٩٧]. ولعلَّ توفر المياه العذبة، والتربة الزراعية الخصبة، واعتدال المناخ وتوفر الأيدي العاملة كان له دوره الكبير في كثرة الإنتاج ووفرة المحصول وتسويق فائضه تجاريًّا إلى أسواق مكة والطائف، وهذه الحقيقة أكَّدها القلقشندي بقوله: "واعلم أنَّ بجيلة وخثعم بلادهم بلاد خير وزرع وفواكه، وأكثر ميرة مكة من الحنطة والشَّعير وغيرها من بلادهم، ويأتون أيام الحج بالعقيق[٩٨] وغيره من أصناف اليمن، ويعرفون عند أهل الموسم بالسَّرو"[٩٩]. وتميَّزت بلادهم أيضًا بكثرة العنب، وقصب السكر، وكثير من الأشجار النافعة[١٠٠]. ولعلَّ الشُّهرة الزِّراعيَّة التي اكتسبتها بلاد السَّرو تعود إلى خصوبة أرضها وكثرة عيونها، وعذوبة مائها، وكثرة خيرها وطيب ثمرها، وذلك منذ القدم؛ فهذا الفراهيدي (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) يقول: "وقرى تبالة تُدعى أهضامًا[١٠١] لكثرة خيرها"[١٠٢]. وفي ذلك يقول الشَّاعر كذلك:

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا[١٠٣]

وكانت الحبوب بأنواعها وأشكالها، هي أهم هذه المحاصيل الزِّراعيَّة، التي كانت تغذي الأسواق المحليَّة والمجاورة؛ منها القمح بأنواعه وأشكاله -المعروف بالحنطة- وكان أجوده ما يُعرف بالمابيَّة[١٠٤]، ومنها الذُّرة التي تُعدُّ المصدر الثاني في الغذاء، وهي من الغلال الشتوية، وأشهرها الذُّرة البيضاء، ثمَّ يأتي الشَّعير، وهو من الغلال التي تُزرع في الصَّيف واعتمد عليه الأهالي بشكل كبير، وأشهر أنواعه العربي والعجلانة، ومنها أيضًا الدُّخن وزراعته في المرتفعات، وهي قليلة لأنه يحتاج إلى الرُّطوبة والحرارة العالية، ومن الحبوب أيضًا ما يُعرف بالسَّيال، والمجدولة، فضلاً عن العدس واللوبياء وحب الرَّشاد (الثفاء) وغيرها[١٠٥].

وكانت البلاد السَّروية خصبة صالحة للزراعة، كثيرة الغلال، والمحاصيل الزِّراعية؛ أكَّد ذلك الرحالة ابن بطوطة بقوله: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل : بجيلة وزهران وغامد؛ يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسَّمن والعسل والزَّبيب والزَّيت واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها، وتعم المرافق، ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش، ... وبلاد السَّرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل؛ مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات"[١٠٦].

ثالثًا: الثَّروة الحيوانيَّة: منذ فجر التاريخ، وهناك علاقة قوية بين الإنسان والحيوان، فحِرفة الرَّعي قديمة قِدم ظهور الإنسان على وجه الأرض؛ فقد مارسها بعد مراحل تاريخ استقراره في المناطق السَّكنية، وكان لها دورها الكبير في عملية استقراره، قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[١٠٧]. وتُعد الضَّأن والماعز والأبقار والإبل من الحيوانات التي استأنس بها الإنسان، واستفاد من أصوافها وأوبارها وألبانها ولحومها وجلودها، كما استفاد من الخيل والبغال والحمير لركوبها، وحمل حاجاته ومتاعه عليها، فضلاً عن استخدامها للتِّجارة وما تدرُّ عليهم من المال، قال تعالى ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[١٠٨].

وقد استفاد أهل السَّرو من الثَّروة الحيوانية في حياتهم اليومية، وذلك من اللحم واللبن والسَّمن، والصُّوف والجلد، فضلاً عن استخدام مخلفات الحيوانات في المزارع والبساتين للتَّسميد، واستُخدِمت الثيران والجمال والحمير والبغال في سحب الماء من الآبار عبر الطرق التقليدية المعروفة[١٠٩]، كما استخدموها في الحراثة والدِّياسة، ثم في تجارتهم إلى الأسواق القريبة منهم والبعيدة عنهم، حيثُ درَّت عليهم أرباحًا كبيرة.

وقد استثمر أهل السَّرو الثروة الحيوانية وانتفعوا بها في المأكل والمشرب، والبيع والشراء، وحمل المتاع، وكانت الإبل والحمير تحمل تجارتهم في قوافل تجارية محملة بالعسل بألوانه المختلفة، والحبوب بأنواعها وأشكالها، وكانت تحط في أسواق مكة في كلِّ موسم[١١٠]. وقد أشار ابن جبير إلى أعداد الرِّجال والجمال في القافلة السَّروية التي تحمل الميرة إلى أسواق مكة في الموسم بأنهم "يصلون في آلاف من العَدَد رجالاً وجمالاً موقرة"[١١١]. ولا شك

في أنَّ أهم وسائل النقل لهذه الميرة إلى أسواق مكة هي الإبل لقوتها وجلدها على تحمل الأثقال، ولصبرها على تحمل العطش، وربَّما استُخدمت بعض الوسائل الأخرى كالحمير لنقل القليل من الأمتعة.

وأمَّا الأغنام والأبقار، فقد كانت كثيرة في البلاد السروية لأنهم يعتمدون على ما تدره من اللبن والسَّمن للاستهلاك المحلي ولتصدير الفائض إلى الأسواق القريبة والبعيدة، وقد ذكر ابن بطوطة صادرات السَّرو ومن أهمِّها ذكرًا إنتاج السَّمن بقوله: "ويجلبون إلى مكة الحبوب والسَّمن والعسل والزَّبيب والزَّيت واللوز"[١١٢]. ولوجود الطبيعة ذات الطقس المعتدل والمياه العذبة الوفيرة والعيون المتفجرة الغزيرة والأرض الخصبة والأشجار البرية المتنوعة، فقد أسهمت جميعها في تواجد الحيوانات التي استفاد منها أهل السَّرو في حياتهم اليومية ؛ ممَّا كان له بالغ الأثر في العيش والاستقرار في تلك البلاد، وهو ما ينطبق أيضًا على الماعز التي كانت كثيرة في تلك البلاد، خاصة في المناطق الجبلية والصَّخرية لتوفر الأعشاب البرية بها[١١٣]، وهو ما ساعد كذلك على تربية النَّحل وتكاثره وإنتاج العسل بأنواعه وحلو مذاقه، ولعلَّ المناخ المعتدل وهطول الأمطار وتنوع الأشجار والنباتات في البلاد أسهم في وجود هذا النشاط والاعتماد عليه في إنتاج العسل بكميات كبيرة، وتصديره إلى الأسواق التِّجاريَّة بالطائف ومكة وغيرهما[١١٤].

وقد ارتبطت الثروة الحيوانية عند السَّرويين بوجود بعض الصِّناعات والحرف اليدويَّة والتقليدية التي ورثها الآباء عن الأجداد، تمثلت في الجلود المدبوغة وتصديرها، ونسج الصُّوف للاكتفاء الذاتي، والتِّجارة، حيث كان السَّرويون يتكسبون من الحرف والمهن اليدوية، فيبيعون ويشترون ويصدِّرون إلى الأسواق الشهيرة القريبة وكذلك التصدير للأسواق البعيدة[١١٥]، وقد ألمح ابن بطوطة إلى جزء من تلك الصناعة المتعلقة بالثروة الحيوانية بقوله: "وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود"[١١٦]. وقد أكَّد ابن المجاور أنَّ حرفة الصناعة الجلديَّة أو الدِّباغة كانت قائمة في البلاد وتُصدَّر منتجاتها إلى أسواق مكة في الموسم وغيره[١١٧]. وممَّا سبق ذكره فقد تبيَّن أنَّ أهل السَّرو أهل رعي وزراعة وتجارة وحرف مختلفة ومهن يدوية متنوعة، كما تبيَّن كذلك اعتمادهم على الثروة الحيوانية للعيش والتِّجارة معًا.

المبحث الثالث

أثر التجارة السَّرويَّة على الاقتصاد المكي

كان لتجارة السَّرو أثرها الكبير على الاقتصاد المكي بصفة عامة وعلى السُّكان والحجاج والمعتمرين والمجاورين بصفة خاصّة، وذلك لكثرة بضائعهم من المواد الغذائية وتنوعها؛ فقد كانت القوافل التجارية السَّروية تحمل الأطعمة بأنواعها في المواسم إلى أسواق مكة التجارية، ومنها موسم يُعرف عند أهل مكة بالعُمرة الرَّجبيَّة[١١٨]، تصل فيه القوافل التجارية السروية إلى أسواق مكة محملة بالمحاصيل الزراعية السَّروية من القمح والشَّعير والذرة، فضلاً عن اللوز والزَّبيب وما شابه ذلك[١١٩]، وعلى طوال السنة أحيانًا، خاصة إذا توفر الأمن واستقرت الأوضاع السِّياسية في مكة، ثمَّ تصل إلى الأسواق المكية والسُّكان بأشدِّ الحاجة إلى هذه الأطعمة، حتى إنَّ ابن المجاور بيَّن أثر تجارة السَّرويين على الاقتصاد المكي بقوله: "يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذَّهب، والسَّرو أمنا نكسب منهم القوت"[١٢٠]. وقال أيضًا: "... وإذا دخلوا مكة ملأوها خيرًا"[١٢١].

ولا عجب في ذلك فبقدوم تجار السَّرو خاصّة، يرغد البلد وترخص الأسعار لوفرة البضائع، فيستبشر أهل مكة والمجاورون بها ويشترون بأقل الأسعار وبالمقايضة أحيانًا، حيث يشترون الأطعمة المختلفة من سمن وعسل وزبيب ولوز وحبوب متنوعة، مقابل ما يعطيهم أهل مكة من العباءات والخِرَق والشِّمل والأقنعة والملاحف، وغيرها ممَّا يحتاجه هؤلاء القوم[١٢٢]، ويقوم أهل مكة بادخار أكثر هذه البضاعة إلى عامهم القادم، فيعم الخير البلاد والعباد[١٢٣]، وقد أكَّد على هذه الخيرات وعلى الأثر البالغ للتجارة السروية على أهل مكة الرحالة ابن بطوطة بقوله: "ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش"[١٢٤]. ومقصود ابن بطوطة بعبارة "أهل هذه البلاد" هم أهل تلك القوافل التجارية القادمة إلى أسواق مكة من سراة بجيلة وما جاورها من السَّروات الأخرى التي أسهمت في تخفيف الأزمات الاقتصادية التي كانت تحلُّ على مكة بين الحين والآخر، فابن جبير ذكر تجار السَّرو تحت عنوان "السرو المائرون"[١٢٥]، أي نسبهم إلى الميرة، وهي المواد الغذائية التموينية، كما ذكرهم ابن بطوطة أيضًا تحت عنوان "ذكر عمرة رجب" وذكرا أنَّه لولا تلك الميرة التي يجلبها هؤلاء التُّجار إلى مكة في موسمي العُمرة والحج؛ لكان أهل مكة والمجاورون لها في شدَّة وضيق من العيش[١٢٦]، كما أنَّ لهم أجمل الأثر في دخول البلد الحرام، تمثل ذلك في

كثرة الميرة التي يَقدِمون بها من بلادهم، وتنوعها، واستبشار أهل مكة وسعادتهم بوصول القافلة التجارية السَّروية، وبلوغ نفعها بين الأهالي والمجاورين والحجاج، بيَّنه جمعٌ من المؤرخين فقد:

- أشار إلى ذلك ابن المجاور (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م) في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ووصول القوافل التجارية السَّروية إلى مكة تحمل القمح والشعير والزبيب واللوز، وغيرها[١٢٧].
- أشار مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨هـ) بأنَّ في موسم الحج سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٣م) كانت أسعار المواد الغذائية في الأسواق مرتفعة "ارتفاعًا لم يعهد مثله في زمن الموسم"[١٢٨]، إلى أن وصلت القوافل التجارية من بجيلة بالأطعمة ؛ فنزلت الأسعار عن ذروتها[١٢٩].
- أشار ابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) في حوادث سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) بأنَّه لمَّا وصلت قوافل السَّرو التجارية انحلت الأسعار[١٣٠].
- أشار مؤرخ مكة العز بن فهد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) مطلع ربيع الأول سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) أنَّ قوافل سراة بجيلة التِّجارية وصلت إلى أسواق مكة محملة بالحبوب المتنوعة[١٣١]، وفي شهر محرم سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) ذكر أيضًا أنَّ في يوم الإثنين دخلت إلى مكة قافلة تجارية من سراة بجيلة أرغدت المجتمع المكي وتهاوت الأسعار دون العشرة ممَّا كان له أجمل الأثر على الاقتصاد المكي[١٣٢]. وهذه دلالة على وصول التجارة السروية بالمواد الغذائية طوال العام إلاَّ أنَّ المواسم لها خاصية الوفرة والكثرة والجودة في البضائع والمنتجات السَّروية في أسواق مكة.
- أشار المؤرخ العصامي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) في حوادث سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) إلى وصول قافلة تجارية من "سراة بجيلة" إلى أسواق مكة محملة بالميرة، وعند وصولها رخصت الأسعار وشملت الأطعمة خاصة الحبوب كالقمح وما سواه، في قوله "ووصلت قافلة بجيلة إلى مكة ؛ فانتفع الناس بها"[١٣٣].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه القوافل كانت تحمل الميرة إلى أسواق مكة في المواسم وغيرها ممَّا كان له أجمل الأثر في خفض السِّعر، لذلك نجد أنَّ أهل مكة يستبشرون بقدوم تجار وتجارة أهل السَّرو لما فيها من الخير والبركة، ونزول الأسعار، ورغد العيش، وتأمين المواد الغذائيَّة، والسِّلع التِّجارية.

المبحث الرابع
معوقات التِّجارة السَّرويَّة

واجهت التُّجار السَّرويين كثير من العقبات والصُّعوبات أمام وصول تجارتهم إلى مكة، كما واجهوا أيضًا الكثير من المشكلات بعد وصول تجارتهم إلى محطتها الأخيرة، وقد تمثلت هذه العقبات وتلك الصعوبات في الآتي:

أولاً: كثرة المكس المفروضة على تجارتهم -وعلى عموم التجار- الدَّاخلين إلى أسواق مكة؛

فقد دأب بعض أمراء مكة على فرض المكس على التجار؛ بل وحتى الحجاج، وكانت تؤخذ على عدد الداخلين إلى مكة، حيث يؤخذ على كل إنسان سبعة دنانير ونصف الدِّينار، ومن تأخَّر أو عجر عن أدائها يعاقب بالحبس حتى لو كان فقيرًا لا يملك شيئًا يدفعه[١٣٤].

ومن ذلك ما أخذ من المكوس على التُّجار سنة (٦٦٧هـ/١٢٦٨م)، حيث "كان يؤخذ الجباء والمكس من التاجر من كل ما يكون معه "[١٣٥]. وقد تدخل الأمير يلبغا الخاصكي وأمر بإلغاء المكوس المفروضة على الحجاج بمكة وعوَّض أمراء مكة عن ذلك[١٣٦].

وفي سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) أسقط السُّلطان الناصر محمد بن قلاوون المكس والضَّرائب في مكة وعوض أميرها عطيفة بن أبي نمي[١٣٧] بثلثي قرية دمامين[١٣٨] بصعيد مصر.[١٣٩] وفي سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م) وقع غلاء شديد بمكة، وندر القوت وتأثر أهل مكة والمجاورون تأثرًا شديدًا، وذلك يعود إلى السياسة التي اتخذها أمراء مكة في فرض الضَّرائب والمكوس على التُّجار القادمين إلى أسواق مكة في المواسم، وعندما وصلت الأخبار إلى مركز القيادة في القاهرة رُتِّب لأمير مكة معلومًا من بيت المال، فضلاً عن التزام السُّلطة بدفع كميات كبيرة من القمح ليترك الجباء في مكة ويعم الرَّخاء وتستقر الأوضاع[١٤٠]، قال النَّجم بن فهد: "وفيها -شهر شعبان- (٧٦٦هـ/١٣٦٤م) - اتفق الحال مع أمير مكة الشَّريف عجلان[١٤١] أن يُرتَّب له في كل سنة من بيت المال مئة وسبعون ألف درهم نقرة، تحمل له من مصر، وألف إردب قمح، ويترك الجباء من مكة وفي كل ما يجلب إليها من الحبوب والخضروات والثمار والغنم والخشب، وكل ما يباع فيها من السَّمن والعسل والثياب وغير ذلك"[١٤٢]. وقد وصل مرسوم السُّلطان إلى مكة وفيه إسقاط المكوس والضَّرائب، ونُقش ذلك الخبر على دعائم المسجد

الحرام بالقرب من باب الصَّفا، قال العاصمي عن المرسوم المنقوش على الأعمدة: "وهي موجودة إلى الآن مؤرَّخة بالسَّنة المذكورة، أعني ست وستين وسبعمائة"[١٤٣]. وقد كانت تُؤخذُ من تجار السَّرو المكوس على كلِّ ما يُحملُ من المأكولات وقدرها "مدٌّ مكِّي وربع مكي، من كلِّ حمل حب يصل من جهة الطائف وبجيلة"[١٤٤].

وقد كان المكس المفروض على تجارة السَّرو يُعرف باسم "مكس بجيلة"، وكان مقداره عن كل حَمْل (جمل أو غيره) نصف دينار ذهبي[١٤٥]، وكان يُجبى باستمرار ما عدا السنين التي كان يُبطل فيها، مثل ما حدث سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) عندما قرئ توقيع بإبطال مكس بجيلة، ثمَّ أعيد فرضه مرة أخرى وظل مفروضًا حتى ألغاه أمير مكة بركات الثاني[١٤٦] في شهر محرم سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)[١٤٧].

وقد تبيَّن أنَّ بعض أمراء مكة كانوا يأخذون المكوس والضرائب من التاجر، والحاج، وكانت عائقًا أمام التِّجارة السَّروية، إلاَّ أنَّ تدخلات سلاطين دولة المماليك حالت دون ذلك في كثير من المواسم، وذلك باتخاذ مجموعة من التدابير الاقتصادية والاحترازات الأمنية التي أسهمت في سلاسة وصول القوافل التِّجارية إلى مكة دون رسوم أو ضرائب.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض أمراء مكة كانوا يحرصون على توفير الحماية الأمنية للقوافل التجارية عند القدوم والمغادرة وإبطال المكوس المفروضة عليها قدر الإمكان؛ كما فعل أمير مكة عليّ بن عجلان[١٤٨] عندما أنقذ قافلة "سراة بجيلة" سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) من أتباع أمير مكة السَّابق الشريف عنان[١٤٩] بالقرب من وادي نخلة؛ وقد وصلت القافلة التجارية إلى مكة وانتفع بها النَّاس[١٥٠].

وقد تبيَّن تدخل السَّلاطين في مصر بتعويض أمراء مكة ماديًّا ومعنويًا مقابل إسقاط المكوس وإبطالها عن الحجاج والتجار[١٥١]، كما فعل الظاهر بيبرس عند أداء فريضة الحج عام (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)[١٥٢]، قال النجم بن فهد: "وزاد أميري مكة مالاً وغلالاً في كل سنة، بسبب تسبيل الكعبة الشريفة للناس"[١٥٣].

ثانيًا: الاضطرابات الأمنية والسياسية التي تحدث في المواسم وما كان ينتج عنها من نهب وسرقة للأسواق التجارية، بل ومن قتل وإشعال النيران في المتاجر والأسواق؛ ومن الأمثلة على ذلك في العصر المملوكي تلك الفتنة التي وقعت سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) بين أمير مكة أبي نمي الأول[١٥٤] وأمير الحاج المصري علم الدين الباشقردي[١٥٥] أثناء موسم الحج؛ ممَّا جعل أبا نمي يغلق أبواب مكة ويمنع الحجاج من الدُّخول تخوفًا من أمير

الحاج، فنقب الناس سور المعلاة وأحرقوا بابها، ودخلوا مكة بعد فرار أبي نمي وأتباعه[١٥٦]. وقد تكررت مثل هذه الفتن مرة أخرى سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)[١٥٧]. وفي سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) اضطربت الأوضاع الأمنية بمكة بعد تولي الشَّريف علي بن عجلان إمارة مكة، حيث تعرضت القوافل التجارية القادمة إلى مكة من "سراة بجيلة" للنهب ومحاولة قطع الطريق، فهبَّ الأمير المذكور لنجدتهم وبرفقته عساكر السُّلطان، ونجت القافلة التِّجارية ووصلت إلى أسواق مكة بأحمالها وخيراتها وانتفع الناس بها[١٥٨].

ثالثًا: ما كان يقع من اعتداء بالقتل والسَّلب والنَّهب على القوافل السروية من طرف بعض أمراء مكة وأتباعهم، أو من طرف أمراء ركب الحج ومماليكهم، أو من طرف أعراب المنطقة، وهناك إشارات متناثرة في بطون المصادر تدلُّ على ما لحق بتجار السَّرو جرَّاء ذلك؛ ففي موسم حج سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) وقع خلافٌ بين أمير الرَّكب المصري "نوغاي"[١٥٩] ومماليكه من جهة، وأمير مكة حميضة بن أبي نمي[١٦٠] وأتباعه من جهة أخرى، ممَّا حدا بأتباع أمير مكة إلى نهبِ الحجاج وخطف التُّجار، فوصل الخبر إلى الأمير نوغاي الذي أزعجه الخبر وأخذ يقتفي الأثر، ولحق بجماعة من أتباع أمير مكة وقبض عليهم، وأخذ في أثر الباقين، فوجد جماعة من السَّرويين فأوقع بهم قتلاً ظنًّا منه أنهم من أتباع الأمير حميضة، فأوقفه أحد مماليكه وأخبره بأنَّ هؤلاء ليسوا إلاَّ تجارًا وحجاجًا من السَّرو، فكفَّ عن القتال بعد أن قتل منهم أعدادًا كثيرة[١٦١].

وفي سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) تكررت الاعتداءات على التَّجار والحجاج بالقتل والنهب، وعُدِم الأمن والاستقرار، ممَّا أثَّر على الحركة التَّجارية في مكة[١٦٢]. وفي سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٣م) أغار بعض الأعراب التابعين لقبيلة هذيل القاطنين بالقرب من الطائف على قافلة تجارية للسَّرويين واستولوا على جميع أموالها وقتلوا بعضًا من رجالها، ثم بعد أيام أدركوا فداحة الأمر وشناعة الموقف فأرسلوا إلى أمير مكة محمد بن بركات[١٦٣] في طلب العفو والصَّفح عمَّا بدر منهم والتعهد بردّ ما أخذوه؛ إلاَّ أنَّ الأمير ردَّ عليهم بحملة من الفرسان لمحاصرة المكان الذي يقطنه الأعراب، ورفض جميع المبادرات، ولم يقبل لهم عذرًا[١٦٤].

وفي سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٥م) قام أمير مكة بحملة من الفرسان لغزو أعراب بني إبراهيم[١٦٥] المقيمين في ينبع، وذلك لقطعهم الطريق على قافلة تجارية قادمة من البلاد السروية، وقد سبق لهم ذلك العمل الشنيع بقطع طريق الحجاج والمسافرين بين مكة والمدينة،

وقد أوقع بهم كثيرًا من القتلى ؛ وذلك حفاظًا على شريان مكة الاقتصادي[١٦٦]. ولقد أدَّت هذه الحوادث المؤلمة إلى تخوف التُّجار على قوافلهم فكانوا يتوقفون في بعض الأحيان عن التِّجارة، ربَّما لمعرفتهم المسبقة بتلك الأوضاع الخطرة التي تعصف بتجارتهم وثرواتهم، وربما وصل الأمر إلى أن يفقد بعضهم حياته.

وهكذا نجد أنَّ اختلال الأوضاع الأمنية كان لها دورها في عرقلة حركة التجارة السَّروية، فضلاً عن المكوس المفروضة على جميع التجارة القادمة من بلاد السَّرو إلى أسواق مكة.

الخاتمة:

وبعد أن تمَّ استعراض موضوع تجارة السرو وأثرها على الاقتصاد المكي في العصر المملوكي بالعرض والتحليل، نسوق أبرز النتائج والتوصيات التي تم استخلاصها من هذه الدَّراسة والتي تمثلت في الآتي:

- كانت التِّجارة السَّروية سلة غذائية شبه متكاملة لأهل مكة والمجاورين لها وعموم الحجاج والمعتمرين.
- كانت التجارة السروية ترد إلى مكة في موسمي الحج والعمرة، "العمرة الرجبيَّة"، وكان التاجر فيها يجمع بين العُمرة والتِّجارة، وفي موسم الحج يجمع بين الحج والتجارة.
- تبيَّن أنَّ التِّجارة السَّروية كانت ترِد إلى أسواق مكة طوال العام، وإن كانت تنشط بشكلٍ أكبر في المواسم.
- أدَّت التِّجارة السَّروية دورًا كبيرًا في استقرار الأسعار وانخفاضها بمكة المكرمة، وهو ما كان له بالغ الأثر على العامة والخاصة من سكَّان البلد الحرام.
- كانت المكوس والضَّرائب التي تؤخذ على التُّجار القادمين إلى مكة - خاصة على أصحاب التجارة السَّروية - موردًا ماليًّا مهمًا لأمراء مكة، ولكنه عائقٌ كبيرٌ أمام التجارة السروية.
- كان بعض أتباع أمراء مكة يطمعون في أموال التجار، ويعتدون عليهم إمَّا بالنهب أو بفرض المكوس، وأصبح هذا السلوك مألوفًا ومشاعًا في تلك الحقبة الزمنية من العصر المملوكي.
- يعدُّ اختلال الأمن في مكة المكرمة من أكبر المعوقات في وصول التجارة السروية إلى الحجاز، لما يترتب على ذلك من عدم الاستقرار، والسلب والنهب، وتسلط اللصوص، وقطاع الطرق.
- كان لغياب التجارة السروية عن أسواق مكة أو تأخرها أثره البالغ في قلة القوت وارتفاع الأسعار.
- عمل بعض سلاطين دولة المماليك على دعم أمراء مكة ماديًّا وغذائيًّا في محاولة جادة لضبط الأمن العام وتحقيق الأمن الغذائي في البلد الحرام.

- اعتمد أهل مكة على ما يُجلب إليهم من البلاد السَّروية من المواد الغذائية كالفواكه المجففة والحبوب المتنوعة، والعسَل والسَّمن، وغير ذلك.
- استعمل أهل مكة نظام المقايضة مع السرويين الذين كانوا لا يتعاملون بالدِّرهم والدِّينار في أغلب الأحيان إلاَّ ما ندر، وكان أكثر ما **يقايض به المكيون ونظرائهم من السرويين** الملابس وسقط المتاع.

وأمَّا من حيث التوصيات ؛ فإنَّ الباحث يرى جملة منها، ولعلَّ أبرزها:

- دعم أصحاب الأراضي الزِّراعية السَّروية بأدوات الحراثة الحديثة، وشبكات الرَّي المتنوعة، والمبيدات الحشرية للمحافظة على الإنتاج المحلي والاكتفاء الذاتي للبلاد.
- ضرورة استصلاح أراضي المنطقة والمحافظة على الغطاء النباتي، والتشجيع على زراعة الفواكه، والحبوب والخضروات، وتربية النَّحل، وكل ما يفيد المجتمع السُّكاني.
- دعم أصحاب المناحل الثابتة والمتنقلة، للمحافظة على إنتاج العسل ومشتقاته للاكتفاء الذاتي والتصدير.
- دعم الثروة الحيوانية بالمنطقة لما للأُدم السَّروية من جودة ووفرة؛ ولأهمية الصناعات الجلدية المتنوعة، فضلاً عن إنتاج الحليب والسَّمن واللحم.
- تشجيع الأيدي العاملة المحليَّة وفتح أسواق جديدة للحرف والمهن القديمة.
- دعم الأسواق المحليَّة الصغيرة وتنظيمها، ودعم المهرجانات العامة ماديًّا وإعلاميًا.

الملحق رقم (١)

المسافة من سراة بجيلة (حداد بني مالك) إلى مكة المكرمة

(١٥٧) كم

إحداثية الموقع

[20.60829,N 41.05864]

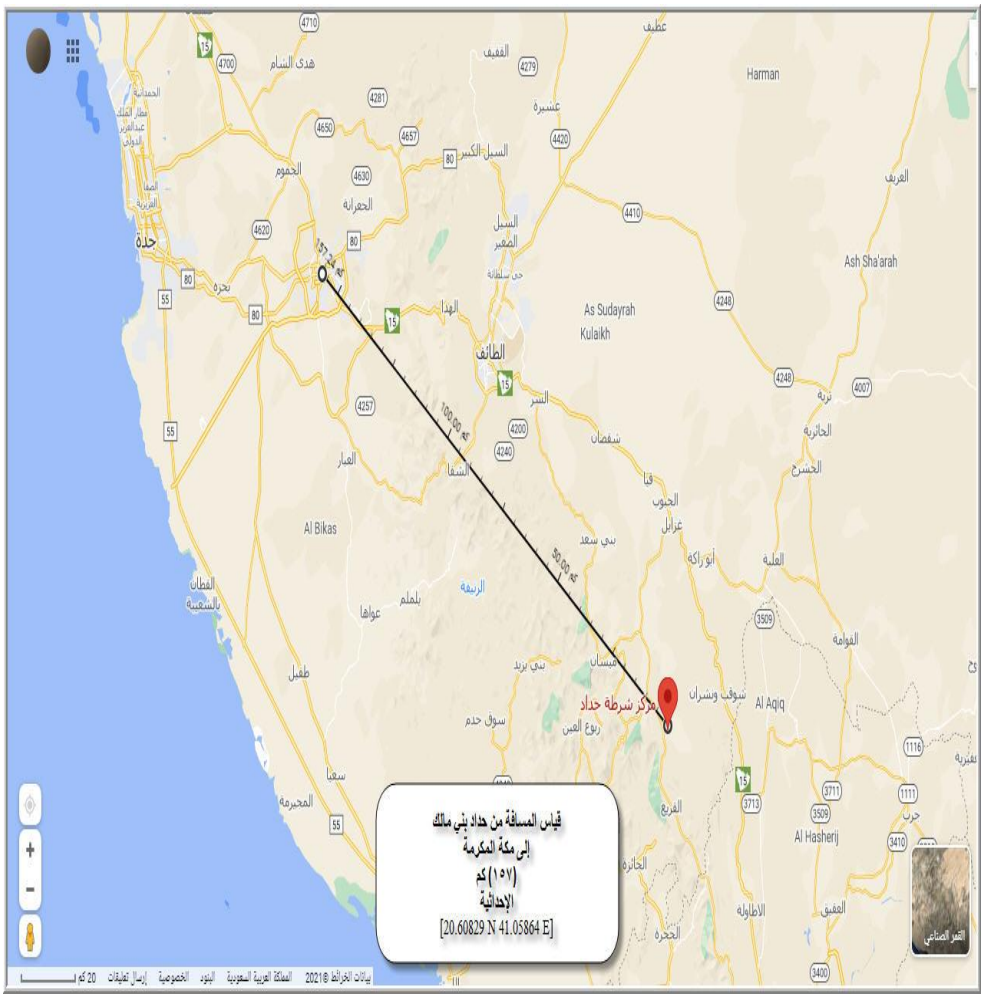

الملحق رقم (٢)

المسافة من سراة غامد (الباحة) إلى مكة المكرمة

(٢٣١) كم

إحداثية

[20.08536,N 41.45738 E]

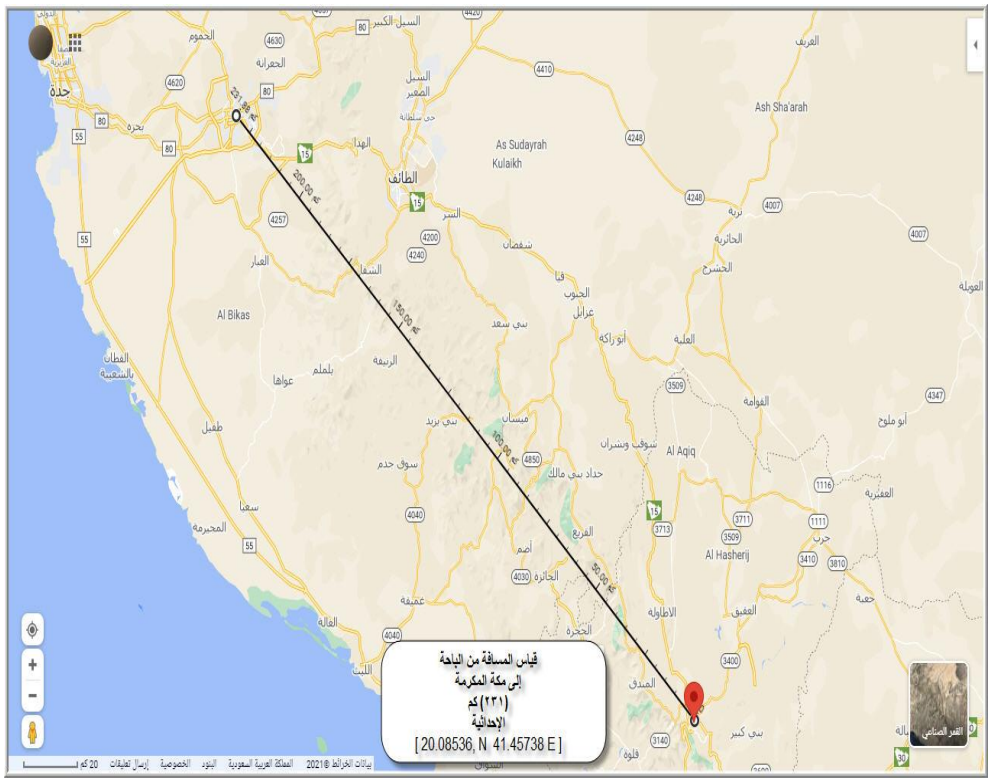

الملحق رقم (٣)

المسافة من مخلاف تبالة إلى مكة المكرمة

(٢٩٢) كم

إحداثية

[19.99706,N 42.22604]

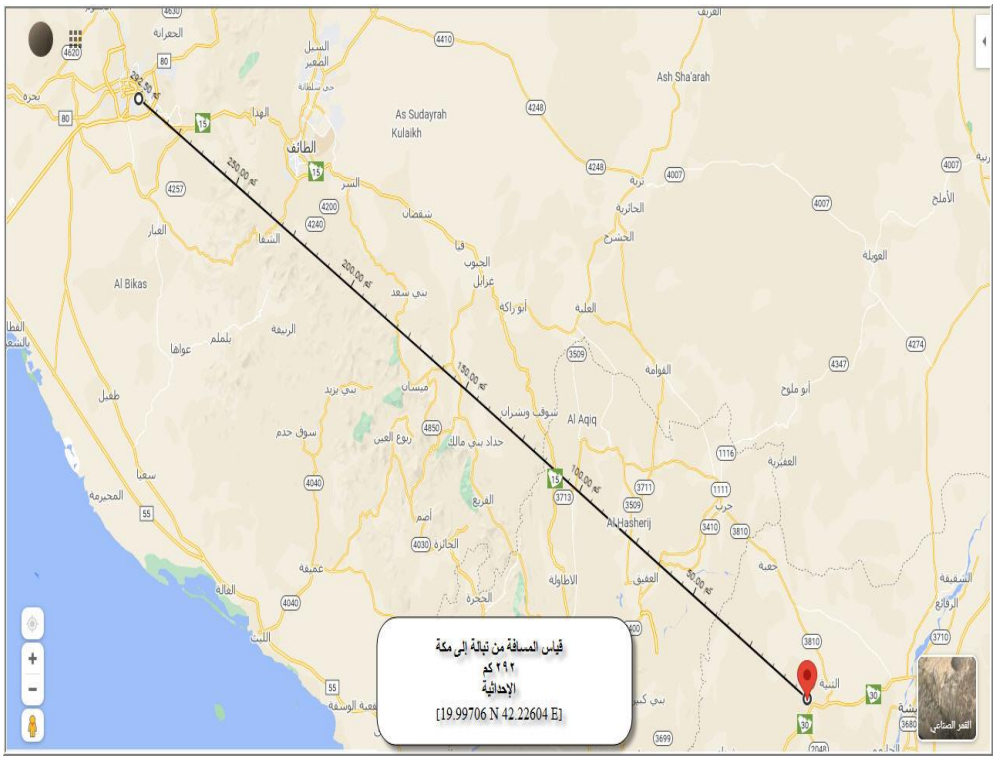

الملحق رقم (٤)

المسافة من سراة زهران (المندق) إلى مكة المكرمة

إحداثية

[20.14604,N 41.27121E]

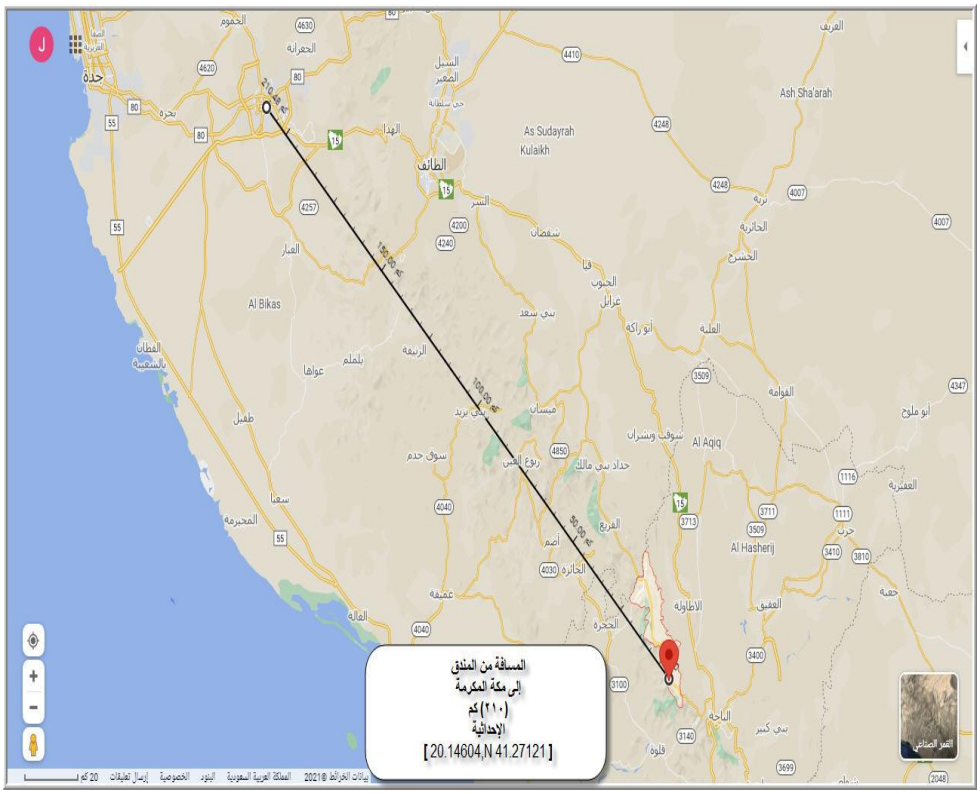

حواشي البحث

* عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ، كلية الدعوة وأصول الدين.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). ٣٧٧/١٤ - ٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ٣٨٠/١٤.

(٣) انظر الهمداني، محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه، تحقيق: حمد الجاسر، (د. ط)، دار اليمامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). (٥٣٣/١)؛ والزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالصبور شاهين، (ط١)، الثقافة والفنون والآداب، الكويت، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م). ٢٧١/٣٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ٣٨٠/١٤.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، ٢٧٠/٣٨.

(٦) تُعدُّ منطقة "حداد بني مالك" نواة سراة بجيلة وتبعد عن مكة (١٥٧ كم) تقريبًا؛ الإحداثية: [20.60829 N 41.05864 E] انظر: Google Earth Pro. انظر ملحق رقم (١).

(٧) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي الكناني، (ط٤)، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م). ١٨٣/١.

(٨) الميرة: هي الطعام الذي يمتاره الإنسان، وتعني كذلك جلب الأطعمة الغذائيَّة إلى الأسواق لبيعها وشرائها. الزَّبيدي: تاج العروس، ١٦٢/١٤.

(٩) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرُّومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تقديم: محمد المرعشلي، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ٤٤/٥.

(١٠) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م). صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر. راجعه ووضع هوامشه: ممدوح حسن محمد، (ط٢)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). ص٣٨.

(١١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨ – ٣٩.

(١٢) تَبالة: بفتح التاء، موضع من بلاد السَّرو، تقع بالقرب من سراة خثعم وما جاورها، وهي من أقدم البلاد الواقعة في الشمال الغربي لمنطقة بيشة جنوب شبه الجزيرة العربية، وتقع على طريق القوافل التجارية، وقوافل الحاج والمعتمر، وهناك تباين في تسميتها، أرضها خصبة يُضرب بها المثل، فقال في الأمثال: "ما

حللت بطن تبالة لتحرم الأضياف". تبعد عن بيشة (٣٨ كلم)، وعن الطائف (٢٣٦ كلم)، وعن مكة (٢٩٥ كلم). لمزيد من المعلومات انظر الميداني: الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (د. ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت). (٢٧٩/١). ٢٦٠/٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ٤٢٧/٢- ٤٢٨؛ الشريف، عبدالرحمن بن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، إقليم جنوب غرب المملكة، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). ٤٢٢/٢. إحداثية: [19.99706 N 42.22604 E]. Google Earth Pro. انظر الملحق رقم (٣).

(١٣) القلقشندي، صبح الأعشى، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبدالقادر زكار، (د. ط)، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). (٣٨٢/١). وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الصَّحابي الجليل أبو عبدالله جرير بن عبدالله بن جابر البجلي (ت: بعد ٥١هـ/ ٦٧١م) يُنسبُ إلى هذه القبيلة "بجيلة" وهو سيِّدُ قومه. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، تحقيق: خليل مأمون، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م). ٣١٩/١.

(١٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٨١/١- ٣٨٢.

(١٥) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات: محمد علي بيضون، (ط١) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). ٣٠٤/٢.

(١٦) الفاسي، محمد بن أحمد بن علي المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: مصطفى الذهبي، (ط٢)، مطبعة النهضة الحديثة، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م). ٦٣/١- ٦٤. جدير بالذكر أنه كان من الشائع وقتذاك إطلاق مصطلح "مخاليف اليمن" على المناطق الواقعة جنوبي مكة

(١٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٨٢/١.

(١٨) البلادي، عاتق بن غيث، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (ط١)، دار مكة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ص٣٢.

(١٩) الزهراني، علي بن صالح بن محمد السلوك، المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، (ط٢)، دار اليمامة، (١٤٠١هـ/١٩٨١م). ص٣١.

(٢٠) البلادي: بين مكة وحضرموت، ص١٣. إحداثية: [20.08536,N 41.45738 E]. Google Earth Pro. انظر الملحق رقم (٢).

(٢١) البلادي: بين مكة وحضرموت، ص٣٣.

(٢٢) الزهراني: المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، ص٣٣.

(٢٣) البلادي: بين مكة وحضرموت، ص٣٣. إحداثية: [19.99706,N 42.22604]. Google Earth Pro. انظر الملحق رقم (٤).

(٢٤) تفرقوا في كل وجهة وناحية. الميداني: مجمع الأمثال، ٢٧٩/١.

(٢٥) الميداني: مجمع الأمثال، ٢٧٥/١.

(٢٦) انظر الزهراني: المعجم الجغرافي لقبائل غامد وزهران، ص٣٦، وكذلك: [Google Earth Pro].

(٢٧) تمَّ اختيار البلاد الواقعة بين مخلاف تبالة وما جاورها إلى الطائف وما جاورها للدراسة في هذا البحث، وذلك لقربها من مكة وأسواقها. ولذكرها لدى بعض المؤرخين بأنَّ بلادهم تمتدُّ إلى مخلاف تبالة. ابن خلدون: تاريخه، ٢٠٤/٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٨٢/١؛ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأيباري، (ط٢)، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، مصر، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ١٠٤/١.

(٢٨) الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، (ط١)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). ص١١٦.

(٢٩) الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص٩٠.

(٣٠) الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص١٣١.

(٣١) القيرواني، الحسن بن رشيق الأزدي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (ط٥)، دار الجيل، بيروت، لبنان، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). ٨٨/١. وهنا نقل مع زيادة ونقص عند كلٍ من: ياقوت: معجم البلدان، ٣٤/٥؛ السيوطي، عبدالرحمن (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، المزهر في علوم اللغة والأدب وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م). ٤٠٩/٢.

(٣٢) ياقوت: معجم البلدان، ٣٤/٥.

(٣٣) ياقوت: معجم البلدان، ٣٤/٥.

(٣٤) ربَّما المقصود بذلك (الحَزُّ) وليس الحرَّة، لأنَّ الحزُّ: آخر موضع بالسراة وقبل منحدر تهامة. ياقوت: معجم البلدان، ١٤٣/٣؛ ابن منظور: لسان العرب، ٣٤/٤.

(٣٥) ابن منظور: لسان العرب، ٣٥٨/٨.

(٣٦) ابن خلدون: تاريخه، ٢٦٩/٤.

(٣٧) ابن خلدون: تاريخه، ٣٠٤/٢.

(٣٨) الجاسر، حمد بن محمد (ت ١٤٤١هـ/ ٢٠٠٠م)، في سراة غامد وزهران نصوص مشاهدات انطباعات، (ط٢)، دار اليمامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). ص٣٥٧.

(٣٩) المخاليف: جمع مخلاف؛ أي الإقليم، وخلاف البلد سلطانه، ويُعرف الإقليم في اليمن بالمخلاف، وفي الشام بالأجناد، وفي العراق بالكور. ابن منظور: لسان العرب، ٤٩٧/٥. وهي أشبه ما يكون بالمحافظة أو المديرية في المصطلح الحديث.

(٤٠) ابن خلدون: تاريخه، ٢٠٤/٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٨٢/١.

(٤١) الفاسي: شفاء الغرام، ٦٣/١-٦٤.

(٤٢) قال تعالى على لسان نبيِّه إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. سورة إبراهيم. آية (٣٧).

(٤٣) الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م تقريبًا)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي ملحس، (ط١٠)، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ٢/ ٢٦٦ وما بعدها.

(٤٤) الزعاق: الماء المرّ الذي لا يطاق شربه. ابن منظور: لسان العرب، ٩٩٣/٥.

(٤٥) الإدريسي، محمد بن عبدالله بن إدريس الحسني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ط١)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م). ١٤٠/١.

(٤٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٥٤/١، ١٧٣؛ الحميري، محمد بن عبدالله (ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ط٢)، دار الجيل، بيروت، لبنان، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). (ص٩٤).

(٤٧) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٣٣/٢.

(٤٨) وادي مرّ: ويُعرفُ أيضًا بمرّ الظهران، وقيل: مرُّ القرية، والظهران الوادي، ويُعرف اليوم بـ (وادي فاطمة)، وسُمِّي بوادي فاطمة نسبة إلى زوجة أمير مكة الشَّريف محمد بن بركات (المعروف بأبي نُمي الثاني)، ويبعد عن مكة المكرمة شمالاً (٢٢كم) تقريبًا، ويُعدُّ من أعظم أودية الحجاز، وبه عيون وفيرة، ونخل وآبار كثيرة، ويصبُّ في البحر الأحمر جنوب جدة بحدود (٢٠كلم). ياقوت: معجم البلدان، (٢٤٧/٨)، ابن بطوطة: تحفة النظار، (١٤٩/١)، البلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، (ط٢)، دار مكة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). ١٠٢/٨.

(٤٩) وادي نخلة: من أودية الحجاز، وله مجريان أحدهما: جنوبي ويعرف بوادي نخلة اليمانية، والآخر: شمالي ويُعرف بوادي نخلة الشامية، كثير العيون والآبار، وبه الفواكه والخضار، يعتمد المجتمع المكي على ما يُجلب منه من خيرات. ياقوت: معجم البلدان، ٣٨٠/٨- ٣٨١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢٦٤/٢؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ٤٢/٩.

(٥٠) المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، إغاثة الأمَّة بكشف الغمَّة، قام على نشره: محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، (ط٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م). (ص٣٤)، السُّلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر، (ط١)، بيروت، لبنان، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). (٥٠٩/٦)، النَّجم بن فهد، عمر بن فهد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (د. ط)، مطابع جامعة أم القرى، (د.ت). ١٧٥/٣ – ١٧٦.

(٥١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٨٣/١.

(٥٢) القزويني، زكريا محمد محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، (د. تح)، (د. ط)، دار

صادر، بيروت، لبنان، (د. ت). ص٨٩؛ ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٧؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٥٣/١.

(٥٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، (١٥٣/١).

(٥٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). ٢٥٢/٢، العز بن فهد، عبدالعزيز بن عمر القرشي المكي (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل، وعبدالرحمن أبو الخيور، وعليان المحلبدي، (ط١)، دار القاهرة، مصر، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م). ١٢٣٤/٢.

(٥٥) البلوي: خالد بن عيسى الفتوري (ت بعد ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، (د.ط) صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، المغرب، (د.ت). ٣٠٨/١.

(٥٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٦٢/١.

(٥٧) الفاسي: شفاء الغرام، ٦٣٨/١.

(٥٨) ابن الفوطي، عبدالرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). ٢٢٤/١.

(٥٩) ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، (د.ت). (ص١٠٤).

(٦٠) الدِّنانير: ومفردها دينار، وأصله دَّار، وهي كلمة فارسيَّة معربة تعني "الشريعة جاءت به"، وقيل بأنَّ أصل الكلمة روميَّة. ومقدار الدينار ستون حبة من الشعير، وتُقدَّر بـ (٤,٢٥٠) غرام، ويُسمَّى المقال من الذهب دينارًا، ويُعدُّ الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان أوَّل من ضرب الدِّينار الذهب في الإسلام عام (٧٤هـ/ ٦٩٣م). الشرباصي، أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، لبنان، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). ص١٦٣.

(٦١) الدِّرهم والدَّراهم: كلمة فارسية معربة عبارة عن قطعة نقدية سكت من الفضة، والدرهم عند الجمهور يساوي (٢,٩٧٥) غرام تقريبًا. محمد، علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، (ط٢)، القدس، القاهرة، مصر، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١). ص١٩.

(٦٢) الدَّراهم النقرة: كانت تُصنع من ثلثين فضة وثلث نحاس، وتطبع بدور الضرب السلطانية. القلقشندي: صبح الأعشى، ٥٠٩/٣.

(٦٣) هو الملك الكامل أبو المعالي وأبو المظفر محمد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب التكريتي (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وميافارقين وآمد وخلاط والحجاز واليمن، وغيرها، أنشأ دار الحديث بالقاهرة، وله أعمال برٍّ وأوقاف، صاحب المواقف الشهيرة في الجهاد بدمياط

ضدَّ الفرنج برًّا وبحرًا. مات بدمشق، ودفن بقلعتها من السنة المذكورة. الذهبي، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م). ٢٧٤/٤٥.

(٦٤) هو الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، آخر ملوك بني أيوب في اليمن، دام حكمه على اليمن أربعة عشر عامًا من (٦١٢هـ - ٦٢٦هـ/١٢١٥م- ١٢٢٨م)، قمع الخوارج فيها، وقد ملك مكة سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، ونفى منها الزيدية، وأمن الطريق والحاج، وأحسن إلى أهلها، مات بمكة، ودفن بالمعلاة في السنة المذكورة. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، توثيق: محمد بيضون، (ط٩)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). ١٤٥/١٣؛ المقريزي: السلوك، ٣٣٣/١.

(٦٥) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٢.

(٦٦) المقريزي: السلوك، ١٥٥/٤.

(٦٧) الدِّينار الإفرنتي: أو الدِّينار الإفرنجي؛ وهو عملة بندقية عُرفت في أوروبا بالدوكات، وعُرفت في المشرق الإسلامي بالإفرنتي، وقد صُوِّر على أحد وجهيه صورة إنسان، وفي الوجه الثاني صورتان في دائرة وبها كتابة، وقد تبيَّن أنَّ هذه العملة كانت رائجة بين الناس في بالقاهرة منذ سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨هـ). المقريزي: السلوك، ٣٧٩/٦؛ ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٥٣٥/٣.

(٦٨) الدِّينار الأشرفي: نسبة إلى السُّلطان الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م)، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز وقبرص، ضُرب سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، راج استعماله في مكة إلى نهاية العصر المملوكي، حلَّ محل الدينار الإفرنتي. المقريزي: السلوك، ٢٨٧/٧، ٣٦٩.

(٦٩) المقريزي: السلوك، ٣٧٩/٦؛ ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٥٣٥/٣.

(٧٠) المقريزي: السلوك، ١٣٠/٧.

(٧١) المنُّ: من وحدات الوزن وتقدر برطلين، وكل رطل يساوي (١٣٠) درهمًا، وقيل (٢٦٠) درهمًا، حيث يختلف تقديره حسب استعمالاته في الدَّولة الإسلاميَّة. محمد: المكاييل والموازين، (ص٢٨)، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يُعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (د.ط)، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن. ص٤٥.

(٧٢) المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). ص١١١؛ ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٢.

(٧٣) الغرارة: مكيال أهل الشام، ويتكون من (١٢) كيلاً، أو (٧٢) مدًّا، أو (٧) ويبات مصريَّة، قدَّرها الفاسي في المجتمع المكي بأنها (٢,٥) غرارة مكية، أي ما يعادل (٢٠٤,٥) كلغ، أو (٢٦٥) لترًا. الفاسي: شفاء الغرام، ٤٣٤/٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢٨١/٤.

(٧٤) الصَّاع: أداة كيل أو مكيال يُكال به الحبوب ونحوها، ويساوي أربعة أمداد، ويُقدَّر عند الجمهور بـ (٢,٠٤) كيلو جرام. محمد: المكاييل والموازين، ص٣٧.

(٧٥) المدُّ: وحدة مكيال، وتساوي مقدار اليدين المتوسطتين، اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل المصري. محمد: المكاييل والموازين، ص٣٦.

(٧٦) الأردب: والجمع أرادب، وحدة مكيال، ويساوي (٢٤) صاعًا بصاع النبي ﷺ، أو (٦٤) منًّا بمنِّ أهل مصر، ويُقدَّر عن الجمهور بـ (٤٨,٩٦) كيلو جرامًا. الزبيدي: تاج العروس، ٤٩٣/٢؛ محمد: المكاييل والموازين، (ص٣٩).

(٧٧) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣.

(٧٨) هو الأمير يلبُغا بن عبدالله الخاصكي الناصر (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) كبير الأمراء في دولة المماليك، حنفي المذهب، استكثر من المماليك الجلبان، واهتم بطلاب العلم، وله أعمال بر وصدقة في الحجاز، أسقط المكوس عن الحجاج، وعوَّض أمراء مكة وأكرمهم، يُعدُّ صاحب القرار في عهد السلطان الأشرف شعبان، وهو الذي يدير شؤون الدولة في الباطن، تغيَّر على مماليكه وتغيروا عليه، وقرروا قتله، فألَّبوا عليه الأمور، ودارت بينهم مناوشات انتهت بإيداعه السجن، ثم قتله عن طريق مماليكه، وذلك في ربيع الآخر من السنة المذكورة. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مراقبة: محمد عبدالمعيد، (ط٢)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م). ٢٠٨/٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٧٥٤/١٤؛ المقريزي: السُّلوك، ٤ - ٣٠٢.

(٧٩) الأتابك: كلمة تركية معرَّبة تعني النائب أو الكافل ومن في حكمه، وتدلُّ على كبير الأمراء، كما تُطلق على القائد العام للجيش في العصر المملوكي. القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٥/٦؛ دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ط١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). ص١١؛ العمايرة، محمد عبدالله سالم، المعجم العسكري المملوكي، (ط١)، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م). ص١٣.

(٨٠) المقريزي: السُّلوك، ٢٧٨/٤.

(٨١) الويبة: وحدة مكيال مصري، تساوي (١١) منًّا، أو (٢٢) إلى (٢٤) مدًّا من مدِّ النبي ﷺ. الشرباصي: المعجم الاقتصادي، ص٤٨٧؛ محمد: المكاييل والموازين، ص٤٢.

(٨٢) المقريزي: السلوك، ٣٤٥/٦.

(٨٣) الذِّراع: وحدة قياس تقدر ببسط اليدِّ ومدها، وأصله من السَّاعد، المقدر بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، ومقداره عند الحنفية (٤٦,٣٧٥) سم، وعند المالكية (٥٣) سم، وعند الحنابلة والشافعية (٦١,٨٣٤) سم. محمد: المكاييل والموازين، ص٥٠.

(٨٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٢؛ العز بن فهد، عبدالعزيز بن عمر بن محمد الهاشمي (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (ط١)، مركز البحث

العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ٥٣٩/٢.

(٨٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٥٥/٢.

(٨٦) العز بن فهد: بلوغ القرى، ١٢٣٤/٢.

(٨٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ٢٥٢/٢.

(٨٨) الفاسي: شفاء الغرام، ٤٦٤/٢.

(٨٩) ياقوت: معجم البلدان، ١٤٣/٢.

(٩٠) الفاسي: شفاء الغرام، ٤٦٤/٢.

(٩١) هو أحمد بن محمد بن بركات العلوي الحسني القرشي (ت٩٠٩هـم١٥٠٣م)، الملقب بجازان وبالجازاني، دخل في صراعات سياسية ومواجهات عسكرية مع أمراء مكة. اغتيل في مكة في شهر رجب من السنة المذكورة. العز بن فهد: بلوغ القرى. ١٣٠١/٢؛ العصامي، عبدالملك بن حسين الشافعي المكي (ت ١١١هـ/ ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م). ٣٠١/٤.

(٩٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، ٩١٠/٢ – ٩١١.

(٩٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، ١٢٣٤/٢.

(٩٤) العز بن فهد، بلوغ القرى، ١٣٤٢/٣.

(٩٥) اشتهرت سراة بجيلة وثقيف جنوب الطائف خاصة بشجر اللوز البجلي، وهو شجرٌ معمّر، ينتج اللوز الحلو واللوز المُر، وهذه الشَّجرة الطيبة كانت ولا تزال إلى يومنا هذا في هذه البلاد. لمزيد من المعلومات حول النَّبات والشَّجر النَّافع في بلاد السَّرو انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥٣/٧- ٧٥؛ قشاش، أحمد سعيد، النبات في جبال السراة والحجاز، معجم لغوي نباتي مصور، (ط١)، السروات، جدة، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). ج١+ج٢.

(٩٦) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(٩٧) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٥٠.

(٩٨) حجر كريم سبق التَّعريف به.

(٩٩) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٥٠.

(١٠٠) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٩.

(١٠١) الأهضام: المطمئنُ من الأرض؛ وقيل: أسافل الأودية وبطونها. ابن منظور: لسان العرب، ٥٦٩/٧.

(١٠٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، (د.ت). ٤١٠/٣.

(١٠٣) العامري، لبيد بن ربيعة، ديوانه، تحقيق: حمدو طماس، (ط١)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). ص١٥٠.

(١٠٤) المابية: هي أجود أنواع القمح الحنطة بيضاء تميل إلى اللون الأصفر قليلاً. ابن سيِّده، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م). ١٨٦/٣.

(١٠٥) الغامدي، صالح عون هاشم، هذه بلادنا: الباحة، (ط١)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). ص٦٢- ٦٣.

(١٠٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٨٣/١.

(١٠٧) سورة طه. آية (٥٤).

(١٠٨) سورة النحل الآية (٥ – ٨).

(١٠٩) جواد علي: تاريخ المفصل في تاريخ العرب، ١٤٦/٧.

(١١٠) الأزرقي: أخبار مكة، (٢٤٠/؛ الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، (د.تح)، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م). ٢٩٨/٧.

(١١١) ابن جبير: رحلته، ١٠٤/١.

(١١٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٨٣/١.

(١١٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ٩١/٧.

(١١٤) تجدر الإشارة إلى أنَّ تربية النَّحل وإنتاج العسل هي حرفة قديمة مارسها أهل بلاد السَّرو منذ القدم، وهي حرفة مألوفة لدى السُّكان ومنتشرة عندهم إلى وقتنا الحاضر، وهي مصدر رزق درَّ على النَّحالين بالمنطقة ربحًا وفيرًا. وقد وقف الباحث علي قرية "الفرعة" والمعروفة اليوم لدى السُّكان بقرية "حريف" أو "خريف"، وتبعد (١٠٠) كلم جنوب الطائف. في "سراة بني شبابة" والتي تقطنها قبيلة السَّواهر من "بلْحارث"، ووجد بها مقرى للنَّحل يحتوي على أكثر من ألف ومئة خلية، مبنيَّة بشكل هندسي مميز من الصَّفائح الحجريَّة وبنظام دقيق محكم، مع توفر نظام الحماية التقليدي، وهذا للمثال وليس للحصر، وإلَّا فإنَّ المنطقة السروية من مخلاف تبالة إلى محافظة الطائف بها الكثير من المناحل التي كان ولا يزال بعضها قائمًا إلى يومنا هذا. وهذه دلالة على أنَّ البلاد السَّروية تُعدُّ أرضًا خصبة لانتشار المناحل وتربية النَّحل، وما "مقرى قرية الفرعة" إلَّا نموذجًا على ذلك، وإن كانت سراة "بني شبابة" لها ذكر في كتب التاريخ حول إنتاج أنواع العسل وتصديره.

(١١٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ٤١٣/٧.

(١١٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٨٣/١.

(١١٧) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٤٤.

(١١٨) قال الإدريسي: "ولمكة موسمان ينفق فيها كل ما جلب إليها أحدهما: في أول رجب، والآخر: موسم الحجيج، ولأهلها أموال صامتة، وأحوال فاشية، ودواب وجمال، ولا زرع بها ولا حنطة إلَّا ما جلب إليها

من سائر البلاد". نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ١٤١/١.

(١١٩) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(١٢٠) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(١٢١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(١٢٢) الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، (ط١)، دار الأندلس الخضراء، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). ٧٦/١.

(١٢٣) ابن جبير: رحلته، ٩٨/١.

(١٢٤) ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٨٣/١.

(١٢٥) ابن جبير: رحلته، ص١٠٤.

(١٢٦) ابن جبير: رحلته، ٩٨/١؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ٤٠١/١.

(١٢٧) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

(١٢٨) الفاسي: شفاء الغرام، ٤٦٣/٢- ٤٦٤.

(١٢٩) الفاسي: شفاء الغرام، ٤٦٣/٢- ٤٦٤.

(١٣٠) ابن حجر: إنباء الغمر، ٢٥٢/٢.

(١٣١) العز بن فهد: بلوغ القرى، ١٢٣٤/٢.

(١٣٢) العز بن فهد: بلوغ، ١٣٤٢/٣.

(١٣٣) العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٦٥/٤.

(١٣٤) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٩٣/٢.

(١٣٥) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ٩٦/٣.

(١٣٦) ابن العماد، عبدالحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، (ط١)، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م). ٢١٣/٦.

(١٣٧) هو عطيفة بن أبي نمي محمد الحسني القرشي (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، أمير مكة. سافر إلى القاهرة، وأخبر السلطان محمد بن قلاوون بما تعرضت له البلاد من القحط والجفاف وارتفاع الأسعار، فأمر السلطان بالمساعدات العاجلة مما كان له أجمل الأثر على المجتمع المكي، دخل في الصراعات السياسية مع أمراء مكة. مات بظاهر القاهرة، ودفن بها في السنة المذكورة. العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٤٨/٤- ٢٤٩.

(١٣٨) دمامين: قرية كبيرة في صعيد مصر ذات بساتين وزروع ونخل. ياقوت: معجم البلدان، ٣٠٦/٤.

(١٣٩) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ١٧٦/٣.

(١٤٠) المقريزي: السلوك، ٢٧٨/٤؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٥٨/٤.

(١٤١) الشَّريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد (ت ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) أمير مكة وشريفها، تولى إمارة مكة أكثر من مرة يكون فيها أحيانًا شريكًا مع إخوته، وانفرد بالإمارة ثلاثين سنة، ودارت بينهما خلافات

حول الإمارة وحول المكوس والضَّرائب التِّجارية. ثمَّ رغب عن الإمارة وتركها لابنه الشريف أحمد بن عجلان، مات في جمادى الأولى من السنة المذكورة. المقريزي: السلوك، ٢٤٢/٤؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٥٣/٤- ٢٦٠.

(١٤٢) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ٣٠٣/٣.

(١٤٣) العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٥٨/٤.

(١٤٤) الفاسي: شفاء، ٤٢١/٢.

(١٤٥) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ٣٠٤/٤.

(١٤٦) هو زين الدين أبي زهير بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني (ت ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م) المعروف ببركات الثاني، أمير مكة وابن أميرها، كان حسن السياسة والتدبير، لها وقائع مع إخوانه، مات بمكة في السنة المذكورة. النجم الغزي، محمد بن محمد الدمشقي (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). ١٦٦/١؛ العيدروس، عبدالقادر بن شيخ اليمني (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (د.ت)، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م). ص١٤١.

(١٤٧) العز بن فهد: غاية المرام، ٦٧/٣.

(١٤٨) هو الشريف علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني (ت ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م) أمير مكة وابن أميرها، تولى إمارة مكة في (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، شارك عنان في الإمرة، وما لبث أن دارت الصراعات مع أمراء مكة، وتولى الإمارة أكثر من مرة، وانتهى به الأمر مقتولاً، ودفن بالمعلاة. المقريزي: السلوك، ٣٧٨/٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ٢٦٦/٣- ٦٨؛ العز بن فهد: غاية المرام، ٢٢٧/٢.

(١٤٩) هو زين الدين عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي الحسني (٧٤٢هـ- ٨٠٥هـ) تولى إمرة مكة أكثر من مرة، ولعب دورًا في الصراعات حول إمارة مكة، طلبه سلطان الديار المصرية وأودعه السجن، ثم عفى عنه، ثم تولى إمرة مكة، واستمرت الصراعات حول الإمارة، اعتقل في الديار المصرية وأودع سجن القلعة، ثم اعتلت صحته في (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)، ومات بالقاهرة يوم الجمعة مطلع ربيع الأول من السنة المذكورة. المقريزي: السلوك، ٩٤/٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ١١٠/٥- ١١٤.

(١٥٠) العز بن فهد: غاية المرام، (٢٣٠/٢).

(١٥١) في هذه السنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) وقع تباين بين أمراء مكة واستطاع الشريف أبي نمي أن يخرج عمه إدريس من مكة ويمسك بمقاليد الأمور فيها، وبعث برسالة على وجه السُّرعة إلى سلطان مصر الظاهر بيبرس يخبره بأنَّه أخرج الأمير إدريس من مكة بسبب ميوله إلى صاحب اليمن، وأنَّ الدُّعاء على منابر مكة لسلطان الدِّيار المصرية، وطلب من السُّلطان أن يُصدر مرسومًا إلى أمراء المدينة بألَّا ينجدوا الشريف إدريس عليه، فأبدى السُّلطان الموافقة المشروطة، وذلك بأن يسبل البيت للناس، وألَّا يعترض

التجار والحجاج بظلم، وأن تُسَك العملة باسم السلطان بيبرس وأن يكون الدعاء أيضًا على منابر مكة باسم السلطان، وفي مقابل ذلك يقدم السلطان لأمير مكة أبي نمي عشرين ألف درهم سنويًا. النجم بن فهد: إتحاف الورى، ٩٣/٣.

(١٥٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٩٦/١٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ٤٠٦/٢؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٣٨/٤.

(١٥٣) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ٩٧/٣.

(١٥٤) هو نجم الدين بن أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني القرشي (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، المعروف بأبي نمي الأول، أمير مكة، دامت إمرته أربعين سنة تقريبًا. لمزيد من المعلومات انظر المقريزي: السلوك، ٣٥١/٢؛ العز بن فهد: غاية المرام، ٩/٢- ٤٤.

(١٥٥) هو علم الدين سنجر بن عبدالله الباشقردي الصالحي (ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، تولى إمارة نيابة حلب، ثم إمارة نيابة دمشق، كان على رأس تجريدة إلى مكة عام (٦٨٣هـ/ ١٢٨٥م) وكان على رأس حملة الحج، مات بالقاهرة من السنة المذكورة. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، (د.ط)، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، مصر، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). ٢٣١/٢.

(١٥٦) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (٢٣١/٢)، الجزيري، عبدالقادر بن محمد الأنصاري (ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد إسماعيل، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م). ٣٨٢/١.

(١٥٧) تدور أحداث هذه الفتنة حول إمرة مكة بين علي بن عجلان، وعنان بن مغامس. الفاسي: شفاء الغرام، ٣٥٣/٢؛ الجزيري: درر الفرائد، ٣٨٣/١.

(١٥٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ٢٥٢/٢؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ٢٦٥/٤.

(١٥٩) الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) السلاح دار، أمير الرَّكب المصري، حاول قتل السُّلطان المظفر إلَّا أنَّ تدبيره لم ينجح لشدَّة تحرُّز السلطان ومماليكه، وعندما تولى السلطان محمد بن قلاوون الحكم وقعت بينه وبين الأمير المذكور أمور أوجبت الاستغناء عنه، وتحرُّزًا من السلطان محمد فقد أسر للأمير أيتمش أن يقبض على الأمير المذكور والتخلص منه، فتم القبض عليه في قلعة دمشق وبها قتل في السنة المذكورة. المقريزي السلوك، ٤٥١/٢، ٤٣٤.

(١٦٠) هو عزالدين حميضة بن أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسني (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، أمير مكة، تولى إمرتها مع أخيه رميثة في حياة والدهما عام (٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، تفرَّد بالإمرة أكثر من مرة، وجرت له حوادث مع أخيه من جهة ومع السلاطين المماليك من جهة أخرى حول الإمرة، وفرَّ إلى العراق، وأطمع خربندا بغزو مكة طمعًا في إمرتها، وانتقامًا من سلطان الديار المصرية، وكل منافسيه على الإمرة، أرسل له السلطان محمد أكثر من تجريدة للقبض عليه لمصادرته أموال التجار وقطع الخطبة لسلطان مصر والدعاء على المنابر لسلطان العراق، لقي مصرعه على يد بعض المماليك الفارين من قبضة

سلطان مصر تخوفًا من حميضة أن يسلمهم لمركز القيادة بالقاهرة، وذلك في السنة المذكورة. ابن حجر: الدرر الكامنة، ١٩٨/٢- ٢٠١.

(١٦١) الفاسي: شفاء الغرام، ٤١١/٢؛ المقريزي: السلوك، ٤٢١/٢؛ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، (ط١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م). ٤٣٥/٥.

(١٦٢) المقريزي: السلوك، ١٣١/٤.

(١٦٣) هو جمال الدين أبو الفرج محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني القرشي (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، أمير مكة، له كثير بر ومعروف، مات في وادي الآبار، ودفن بمكة. لمزيد من المعلومات انظر العز بن فهد: بلوغ القرى، ٥٩٦/٢.

(١٦٤) العز بن فهد: بلوغ القرى، ٥٤٢/٢.

(١٦٥) بنو إبراهيم: اختلف في نسب هذه القبيلة، فذكر أنهم من الأشراف من سلالة السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وذكر أنهم من جهينة، ومنازلهم في ينبع وما جاورها، كان بعض أفراد هذه القبيلة يشكل خطرًا كبيرًا على القوافل التجارية والحجاج. حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، (ط١) مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ص١٣٨.

(١٦٦) العز بن فهد: غاية المرام، ٥٥١/٢؛ العصامي: سمط النجوم، ٣١٦/٤.